

تفسير ابن كثير

يقول اﷻ تعالى مرشدا نبيه صلوات اﷻ وسلامه عليه إلى درء مجادلة المشركين : { قل أتتاجوننا في اﷻ } أي تناظروننا في توحيد اﷻ والإخلاص له والإنقياد واتباع أوامره وترك زواجه { وهو ربنا وربكم } المتصرف فينا وفيكم المستحق لإخلاص الإلهية له وحده لا شريك له { ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم } أي نحن براء منكم ومما تعبدون وأنتم براء منا كما قال في الآية الأخرى { وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون } وقال تعالى : { فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي ﷻ ومن اتبعن } إلى آخر الآية وقال تعالى إخبارا عن إبراهيم { وحاجه قومه قال أتتاجوني في اﷻ } إلى آخر الآية وقال تعالى : { ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه } الآية وقال في هذه الآية الكريمة { ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون } أي نحن براء منكم كما أنتم براء منا ونحن له مخلصون أي في العبادة والتوجه وثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم إما اليهودية وإما النصرانية فقال : { قل أنتم أعلم أم اﷻ } يعني بل اﷻ أعلم وقد أخبر أنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى كما قال تعالى : { ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين } الآية والتي بعدها وقوله { ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من اﷻ } قال الحسن البصري : كانوا يقرءون في كتاب اﷻ الذي أتاهم إن الدين الإسلام وإن محمدا رسول اﷻ وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا براء من اليهودية والنصرانية فشهدوا ﷻ بذلك وأقروا على أنفسهم ﷻ فكتموا شهادة اﷻ عندهم من ذلك وقوله { وما اﷻ بغافل عما تعملون } تهديد ووعد شديد أي أن علمه محيط بعلمكم وسيجزىكم عليه ثم قال تعالى : { تلك أمة قد خلت } أي قد مضت { لها ما كسبت ولكم ما كسبتم } أي لهم أعمالهم ولكم أعمالكم { ولا تسألون عما كانوا يعملون } وليس يغني عنكم انتسابكم إليهم من غير متابعة منكم لهم ولا تغتروا بمجرد النسبة إليهم حتى تكونوا منقادين مثلهم لأوامر اﷻ واتباع رسله الذين بعثوا مبشرين ومنذرين فإنه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل ولا سيما بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين إلى جميع الإنس والجن من المكلفين صلوات اﷻ وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء اﷻ أجمعين